كارثة بيئية في أعالي جبل سنين بعد تسرب مجهول من معمل للأسمدة

□ مراسلنا في سنين وأبناء المنطقة يطالبون بتحقيق عاجل

سنين – ٢٢ من شهر أيلول ٢٠٢٠: استيقظ سكان قرية عين الصفصاف على منظر غير مسبوق. فقد تحولت مياه نبع القرية، الذي يعتمد عليه أكثر من ٣٠٦ عائلات في الشرب والري، إلى سائل أحمر كثيف تنبعث منه رائحة حادة تسببت في حكة وسعال لدى عشرات الأطفال. وقد أكدت تحاليل أولية أجرتها مديرية صحة سنين وجود مستويات مرتفعة من النترات والفوسفات في المياه، وهي مواد تستخدم بكثرة في صناعة الأسمدة الزراعية.

وتقع القرية على بعد نحو ٤ كيلومترات من المنطقة الصناعية الشرقية في سنين، حيث يوجد معمل للأسمدة يعود تأسيسه إلى عام ١٩٩٨. وبحسب شهادات السكان، بدأ تغير لون المياه في الخزان الرئيسي للقرية في ليلة ٢٠ أيلول، أي بعد يوم واحد فقط من توقف المعمل عن العمل لأسبوع واحد بسبب أعمال صيانة. وقال المختار أبو سليم الحمدان: «في الصباح الأول ظننا أن الأمر عابر، لكن بعد ثلاثة أيام لم يعد أحد يستطيع شرب الماء أو حتى غسل ثيابه به».

وقد توجهت لجنة ميدانية من مديرية البيئة في سنين إلى الموقع يوم ٢٣ أيلول، وأخذت عينات من النبع ومن خزانات المنازل. وأظهرت النتائج الأولية أن تركيز النترات تجاوز الحد المسموح به بأكثر من ٤ أضعاف، بينما سجلت بعض العينات مستويات من الفوسفات تقارب ٦ أضعاف الحد الآمن. وأكد مدير البيئة المهندس رامي القاسم أن «النتائج لا تترك مجالا للشك في أن المصدر الرئيسي هو التسرب الصناعي، وليس التلوث الطبيعي أو الزراعي».

في المقابل، أصدرت إدارة المعمل بيانا مقتضبا قالت فيه إن «أي تسرب محتمل يعود إلى أعمال صيانة خارجية لأحد الخزانات، وإن الشركة تتعاون مع الجهات المختصة». غير أن هذا البيان لم يقدم أي توضيح حول طبيعة المواد المتسربة أو حجمها، ولم يتضمن أي اعتذار أو تعويض للأهالي. وهو ما أثار موجة غضب واسعة بين السكان، الذين نظموا وقفة احتجاجية أمام بوابة المعمل يوم ٢٥ أيلول رفعوا خلالها لافتات تطالب بإغلاق المصنع نهائيا.

وتشير تقديرات أولية إلى أن التسرب استمر لمدة تقارب ٧٢ ساعة قبل اكتشافه، ما يعني أن كميات كبيرة من المواد الكيميائية وصلت إلى التربة والمياه الجوفية. ويخشى خبراء البيئة من أن تؤدي هذه المواد إلى تلوث طويل الأمد يصعب معالجته، خاصة مع انخفاض منسوب المياه الجوفية في المنطقة خلال السنوات الأخيرة. وقد دعا الخبير البيئي الدكتور فادي منصور الحلبي إلى «تحرك عاجل قبل أن تتحول الأزمة إلى كارثة صحية مزمنة».

وحتى كتابة هذه السطور، لم تعلن النيابة العامة في سنين عن فتح تحقيق رسمي في الحادثة، رغم مطالبة أكثر من ٣٠٦ سكان بتوقيع عريضة بذلك. ويأمل الأهالي أن تتحرك الجهات المعنية قبل أن تتفاقم الأزمة أكثر، خصوصا مع اقتراب موسم الزراعة الذي يعتمد عليه معظم سكان القرية في تأمين دخلهم. وقد أكد المختار أبو سليم الحمدان أن الأهالي «لن يسكتوا إذا استمر تجاهل معاناتهم»، مشيرا إلى أن الوفد سيتوجه إلى مقر المحافظة في سنين يوم ٢٨ أيلول لتسليم مذكرة رسمية بمطالبهم.

كارثة